المركز الماركسي - اللينيني للدراسات و الأبحاث و التكوين

# مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي

مكتبة النجمة الحمراء

ماركس

# مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي ( ١ )

## المقدمة

اني ابحث نظام الاقتصاد البرجوازي حسب الترتيب التالي **الرأسمال** ، **ملكية الارض** ، **العمل المأجور** ، **الدولة** ، **التجارة الخارجية** ، **السوق العالمية** في الابواب الثلاثة الاولى ادرس الظروف الاقتصادية لحياة الطبقات الكبيرة الثلاث التي ينقسم اليها المجتمع البرجوازي المعاصر ؛ والصلة المتبادلة بين الابواب الاخرى الثلاثة جلية للعيان القسم الاول من الكتاب الاول الذي يتناول الرأسمال يتألف من الفصول التالية ١ ـ البضاعة ، ٢ ـ النقد ، او التداول البسيط ، ٣ ـ الرأسمال على العموم الفصلان الاولان يشكلان مضمون هذه الطبعة . المادة كلها موجودة بين يدي بصورة مباحث خاصة كتبت في حقبات مختلفة مع انقطاعات كبيرة ، لا من اجل النشر ، بل من اجل توضيح المسائل بنفسي لنفسي ؛ ان تحرير هذه المباحث لاحقا حسب الترتيب المشار اليه آنفا سيكون رهنا بالظروف الخارجية

واني لأحذف المقدمة العامة (٢) التي سبق ووضعت خطوطها الكبرى ، لاني قررت ، بعد المزيد من امعان الفكر ، ان أي استباق للاستنتاجات التي لا يزال يترتب اثباتها قد يعيق ،

وان القـــارى الذي يريد على العموم ان يتتبعني يجب عليه ان يعقد النية على الصعود من الخاص الى العام ولكنه يبدو لي من المناسب ان اعرض هنا بعض الملاحظات بصدد سير دراساتي الخاصة في الاقتصاد السياسي

كان علم القانون موضع اختصاصي ، ولكني لم ادرسه الا كمادة ثانوية الى جانب الفلسفة والتاريخ ففي عامي ١٨٤٢ و١٨٤٣ ، تاتى لي بوصفي محرراً في « Rheinische Zeitung » (٣) ان ابدي رأيي للمرة الاولى فيما يسمى بالمصالح المادية ، الامر الذي اثار في وجهي المتاعب ان المناقشة التي جرت في لاندتاغ ( جمعية ) الراين حول المسائل المتعلقة بسرقة الغابات وبتجزئة ملكية الارض ، والمناظرة الرسمية التي شرع بها السيد فون شابر ، — الذي كان آنذاك الرئيس الاول لاقليم الراين ، — ضد « Rheinische Zeitung » بصدد اوضاع فلاحي منطقة الموزيل ، واخيراً المناقشات بشان حرية التجارة ورسوم الحماية الجمركية ، كانت اولى الدوافع لانصرافي الى دراسة القضايا الاقتصادية ومن جهة اخرى ، عندما كانت الرغبة الطيبة «في السير الى الامام» تربو في ذلك الوقت مراراً عديدة على معرفة الموضوع ، بدات تتردد في « Rheinische Zeitung » اصداء الاشتراكيـة الفرنسيـة والشيوعية الفرنسية مرفوقة بطلاء فلسفي خفيف . وقد عارضت هذا الولع المبتذل ، ولكني اعترفت صراحة ، مع ذلك ، في المناظرة ضد « Allgemeine Zeitung » (٤) الصادرة في اوغسبورغ ، بان ما كنت املكه من المعارف آنذاك لم يتح لي الاقدام على ابداء اي حكم بشان فحوى الاتجاهين الفرنسيين ذاته . ولذا عمدت بمزيد من الرغبة الى الاستفادة من وهم قادة « Rheinische Zeitung » الذين كانوا يأملون ان يتوصلوا بموقف اكثر اعتدالا الى الغاء

حكم الاعدام الصادر بحقها لكي انسحب من المسرح الاجتماعي الى قاعة الدراسة .

واول عمل شرعت بـــه لاجل تبديد الشكوك التي كانت تراودني ، كان تحليل فلسفة الحق عند هيغل تحليلا انتقاديا * ، وقد صدرت مقدمة هذا العمل ** في عام ١٨٤٤ في «Deutsch-Französische Jahrbücher» (٥) التي كانت تصدر في باريس وساقتني ابحاثي الى النتيجة التالية وهي ان العلاقات الحقوقية ، شانها بالضبط شان اشكال الدولة ، لا يمكن فهمها لا بحكـــم ذاتها ، ولا بحكم ما يسمى التطور العام للروح البشرية ، وانها ، على العكس ، تمد جذورها في العلاقات الحياتية المادية التي يسمي هيغل مجموعها «بالمجتمع المدني» ، على غرار ما فعل الكتاب الانجليز والفرنسيون من القرن الثامن عشر ، وانه ينبغي البحث عن تفسير المجتمع المدني في الاقتصاد السياسي . وقد بدأت دراسة الاقتصاد السياسي في باريس وواصلتها في بروكسل التي انتقلت اليها اثر امر السيد غيزو بابعادي من باريس .ان النتيجة العامة التي توصلت اليها والتي اصبحت فيما بعد بمثابة خيط هاد في ابحاثي اللاحقة ، انما يمكن صياغتها بايجاز على النحو التالي ان الناس ، اثناء الانتاج الاجتماعي لحياتهم ، يقيمون فيمـــا بينهم علاقات معينة ضرورية ، مستقلة عن ارادتهم وتطابق علاقات الانتاج هذه درجة معينة من تطور قواهم المنتجة المادية

---

* كارل ماركس . «مساهمة في نقد فلسفة الحق عند هيغل» الناشر .

** كارل ماركس «مساهمة في نقد فلسفة الحق عند هيغل . المقدمة» . الناشر .

ومجموع علاقات الانتاج هذه يؤلف البناء الاقتصادي للمجتمع اي الاساس الواقعي الذي يقوم عليه بناء فوقي حقوقي وسياسي وتطابقه اشكال معينة من الوعي الاجتماعي ان اسلوب انتاج الحياة المادية يشترط تفاعل الحياة الاجتماعي والسياسي والفكري ، بصورة عامة فليس ادراك الناس هو الذي يعين معيشتهم ، بل على العكس من ذلك ، معيشتهم الاجتماعية هي التي تعين ادراكهم وعندما تبلغ قوى المجتمع المنتجة المادية درجة معينة من تطورها ، تدخل في تناقض مع علاقات الانتاج الموجودة او مع علاقات الملكية – وليست هذه سوى التعبير الحقوقي لتلك – التي كانت الى ذلك الحين تتطور ضمنها فبعد ما كانت هذه العلاقات اشكالا لتطور القوى المنتجة ، تصبح قيودا لهذه القوى وعندئذ ينفتح عهد الثورة الاجتماعية ومع تغير الاساس الاقتصادي يحدث انقلاب في كل البناء الفوقي الهائل ، بهذا الحد او ذاك من السرعة وعند دراسة هذه الانقلابات ، ينبغي دائما التمييز بين الانقلاب المادي لشروط الانتاج الاقتصادية – هذا الانقلاب الذي يُحدَّد بدقة العلوم الطبيعية – وبين الاشكال الحقوقية والسياسية والدينية والفنية والفلسفية ، او بكلمة مختصرة ، الاشكال الفكرية التي يدرك فيها الناس هذا النزاع ويكافحون لاجل حله فكما انه لا يمكن الحكم على فرد وفقا للفكرة التي لديه عن نفسه ، كذلك لا يمكن الحكم على عهد انقلاب كهذا ، وفقا لوعيه بل بالعكس ينبغي تفسير هذا الوعي بتناقضات الحياة المادية ، وبالنزاع القائم بين قوى المجتمع المنتجة وعلاقات الانتاج ان اي تشكيلة اجتماعية لا تموت قبل ان تتطور جميع القوى المنتجة التي تفسح لها ما يكفي من المجال ؛ ولا تظهر ابدا علاقات انتاج جديدة ارقى قبل ان تنضج شروط وجودها المادية في

قلب المجتمع القديم بالذات ولهذا لا تضع الانسانية ابداً امامها الا المسائل التي تستطيع حلها اذ انه يتضح دائما ، عند البحث عن كثب ، ان المسألة نفسها لا تبرز الا عندما تكون الشروط المادية لحلها موجودة ، او ، على الاقل ، آخذة في التكّون ان اساليب الانتاج ، الاسلوب الآسيوي ، والقديم ، والاقطاعي ، والبرجوازي الحديث ، مرسومة بخطوطها الكبرى ، يمكن اعتبارها بمثابة عهود متصاعدة من التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية ان علاقات الانتاج البرجوازية هي الشكل التناحري الاخير لعملية الانتاج الاجتماعية ، التناحري لا بمعنى التناحر الفردي ، بل بمعنى التناحر الذي ينمو من الشروط الاجتماعية لحياة الافراد ؛ ولكن القوى المنتجة المتنامية في قلب المجتمع البرجوازي تخلق في الوقت نفسه الشروط المادية لاجل حل هذا التناحر . ولهذا ينتهي ما قبل تاريخ البشرية بالتشكيلة الاجتماعية البرجوازية

ان فريدريك انجلس الذي اخذت اتبادل معه الآراء باستمرار عن طريق الرسائل منذ ظهور ملاحظاته العبقرية في نقد المقولات الاقتصادية * ( في Deutsch-Französiche « Jahrbücher ) قد توصل بسبيل آخر الى نفس النتيجة التي توصلت انا اليها ( قارن كتابه «حالة الطبقة العاملة في انجلترا» ) ؛ «عندما اقام كذلك في بروكسل في ربيع ١٨٤٥ ، قررنا ان نصوغ نظراتنا معاً خلافاً للنظرات الايديولوجية للفلسفة الالمانية ،

---

* فريدريك انجلس . «ملاحظات في نقد الاقتصاد السياسي» . الناشر .

وان نحاسب ، من حيث جوهر الامر ، وجداننا الفلسفي السابق وقد حققنا هذه النية بشكل انتقاد للفلسفة التي ظهرت بعد فلسفة هيغل• وكانت المخطوطة – وهي عبارة عن مجلدين ضخمين بحجم ثمن ملزمة – قد وصلت من زمان الى مكان الطبع في وستفاليا عندما ابلغونا ان الظروف المتغيرة قد جعلت من المستحيل طبعها وبما اننا كنا قد بلغنا هدفنا الرئيسي ، – وهو توضيح الامور لانفسنا – فقد قدمنا المخطوطة بمزيد من الارتياح لنقد الفئران القارض ومن الابحاث المختلفة التي عرضنا فيها نظراتنا على الجمهور في ذلك الوقت من هذا الجانب او ذاك ، اكتفي بالتذكير «ببيان الحزب الشيوعي» الذي كتبناه معا انجلس وانا•• ، و«الخطاب حول حرية التجارة» الذي نشرته انا وللمرة الاولى عرضنا بطريقة علمية النقاط الفاصلة في آرائنا ، وان بشكل المناظرة فقط ، وذلك في مؤلفي «بؤس الفلسفة» الصادر في عام ١٨٤٧ والموجه ضد برودون وان ثورة شباط (٦) وابعادي بالعنف من بلجيكا من بعدها وبسببها قد قطعا طبع مؤلفي عن «العمل الماجور»••• الذي كتبته باللغة الالمانية والذي جمعت فيه محاضرات القيتها في رابطة العمال الالمان (٧) ببروكسل•

ان اصدار «Neue Rheinische Zeitung» (٨) («الجريدة الرينانية الجديدة») في ١٨٤٨ و١٨٤٩ والاحداث اللاحقة قد

---

• كارل ماركس وفريدريك انجلس . «الايديولوجيا الالمانية» الناشر .

•• راجع الجزء الاول من هذه الطبعة ، ص ص ٤١–٩٦ الناشر .

••• راجع الجزء الاول من هذه الطبعة ، ص ص ٩٧–١٤٧ الناشر .

قطعت دروسي الاقتصادية ، فلم استطع استئنافها الا في عام ١٨٥٠ في لندن . وان المادة الضخمة في تاريخ الاقتصاد السياسي التي جمعت في المتحف البريطاني ، وكون لندن مركز مراقبة ملائم لاجل دراسة المجتمع البرجوازي ، واخيراً مرحلة التطور الجديدة التي دخل فيها هذا المجتمع ، على ما يبدو ، منذ اكتشاف الذهب في كاليفورنيا واوستراليا ، كل هذا دفعني الى الشروع من جديد بالعمل من البدء بالذات والى معالجة المادة الجديدة بعين نقادة وقد قادتني هذه المساعي ، وجزئياً بصورة عفوية ، الى مسائل لا تمت اطلاقاً من النظرة الاولى الى الموضوع ، ولكني كنت مضطراً للتوقف عندها فترات طويلة الى هذا الحد او ذاك بيد ان الوقت المتوفر لي قل بخاصة من جراء الضرورة الملحة القاضية بالعمل من اجل الخبز اليومي ثم ان تعاوني – الذي مضى عليه الآن ثماني سنوات – في « New-York Daily Tribune » ، « ( نيويورك دايلي تريبون ) (٩) – وهي اول جريدة انجلو – اميركية ( وانا لا اكتب المراسلات الصحفية الصرف الا بصورة استثنائية ) فرض في دراساتي العلمية انقطاعات متكررة فوق الحد غير ان المقالات حول الاحداث الاقتصادية البارزة في انجلترا وفي القارة شغلت من عملي لاجل الجريدة قسماً كبيراً الى حد اني كنت مضطراً الى الاطلاع على التفاصيل العملية القائمة ما وراء حدود علم الاقتصاد السياسي الصرف .

والمقصود من هذه الملاحظات عن سير دراساتي في ميدان الاقتصاد السياسي ان تبين وحسب ان نظراتي ، مهما كانت الآراء بصددها ومهما قل تطابقها مع الاوهام الانانية لدى الطبقات

السائدة ، هي نتيجة ابحاث جدية ، طويلة الأمد والحال ، عند باب العلم ، كما عند باب جهنم ، يجب ان يوضع المطلب التالي

« Qui si convien lasciare ogni sospetto ;
Ogni viltà convien che qui sia morta ».*

**كارل ماركس**

لندن كانون الثاني ( يناير ) ١٨٥٩

تصدر حسب نص الكتاب

تمت الترجمة نقلاً عن الالمانية

صدرت للمرة الاولى في كتاب :
« Zur Kritik der politischen Oekonomie von Karl Marx ».
Erstes Heft. Berlin, 1859

---

* « هنا يجب ان تكون الروح قوية ؛
هنا يجب الاّ يكون الخوف هو الناصح »
( دانته . « الكوميديا الالهية » ) . الناشر .